مداخلات لغوية

أبو أوس إبراهيم الشمسان

بل شَكْوى وشِكايَة وشَكِيَّة وشَكاة

لا يريد الأستاذ عبدالمحسن الحقيل أن يشتكى من حيف ألمّ به؛ ولكن حُقّ له أن يشتكي من حيف ألمّ بأبنائه الطلاب، وابننا عبدالمحسن شاعر مرهف، رقيق حواشي اللفظ، يزاول التعليم بعد أن أتقن التعلّم في جامعة الملك سعود، ولست أنسى كيف ردّني بأدب ولطف إلى ما انسقت فيه من خطأ، ثم إني قرأت له ما كتبه في المجلة الثقافية (الخميس ١٥, جمادى الآخرة ١٤٣٤ العدد ٤٠٤) فأعجبني هذا الهدوء الذي يسوق به العتاب، وهو يفصح عن ألم ومرارة شديدة يجدها وهو يعلم مهارات اللغة في بيئة لا تتيح لهذه المهارات أن تنال نصيبها من الوقت تعلمًا وتدربًا، وهذه آفة التعليم عندنا، كمٌّ يجور على الكيف، يقول الأستاذ عبد المحسن «نمضي الفصل الدراسي نحدث الطلاب عن المركبات وأنواعها، ثم في عالم الرياضة والألعاب، وبعدها عالم الطيور والحشرات، وأخيرًا المهن والحرف، وهذا وربك مقرر الصف الرابع الابتدائي، وهذه الثرثرة المعرفية العامة تحتل مكانًا لتضيق الخناق على مهارات اللغة العربية، لنجد أنفسنا أمام أربع وظائف نحوية، وأربع وظائف إملائية فقط لا غير!! أحقا هذا هو مقرر اللغة العربية؟!»، كيف جارت تلك الثقافة أنى كانت أهميتها على مهارات اللغة وعلومها، وليس بغريب إذن أن تتوالى الأجيال لا يعرفون من أمور لغتهم شيئًا مذكورًا. ثم إن الأستاذ عبد المحسن يشرح أمر تلك النصوص التي تقحم في أذهان أبنائنا إقحامًا، وهو يحس بغير قليل من السخط على تلك النصوص وما حوت، يقول «اسمح لنا أن نناقش المقررات وما حوت من هذه الثقافة العامة التي فُضّلت على مهارات اللغة العربية، ولنتأمل معكم إن كانت ذات جدوى أو خير أو فضل.

في مقرر الصف الرابع دماء وإصابات وجراح تقدم على طبق من قسوة لأطفال في العاشرة من عمرهم فهل يصح هذا؟!»، ثم يسرد، بتفصيل، كثيرًا من المشاهد التي لا تروق للكبار بله الصغار، وإني لآسى لهؤلاء الصغار الذين تنحر طفولتهم مرات ومرات؛ فهم في المدرسة يجبرون على قراءة وشهادة ما يفزع القلوب، وتشيب له الرؤوس، وهم يتعرضون في بيوتهم لقنوات ملئت بأفلام مصاصي الدماء والقتلة، هذا غير أخبار الدنيا التي لا ينتقى منها إلا مشاهد إبادة الإنسان للإنسان. ويشير الأستاذ بحصافة إلى مستوى اللغة التي يخاطب بها الصغار؛ فهي مختلفة عن لغة الكبار بعض الاختلاف، ومهما يكن الموضوع جليلاً وأسلوبه جميلاً فإن من الخلل إن يوجه إلى غير أهله، وكما بدأ أنهى كلامه بخاتمة هادئة مجملة لأغراضها، قال «سيدي صاحب المعالي..لست أكثرَ من معلم غيور على أبنائه، حريص على نفعهم، مؤمن بمهام عمله، وهنا أقسم أمام الله ثم أمامكم أن هذا لا يناسب براءة الصغار، ولا يتماشى مع وعي الناشئة، ولا يصح عرضه لهم، فإن رأيتني مصيبًا فالبدار البدار، وكما غيّرتم المقررات الطيبة الذكر وأحللتم هذه مكانها ارحموا عقولنا وقلوبنا، وغيروا هذه، وهبونا خيرًا منها، لا حرمكم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة، وإن رأيتني مخطئًا جاهلاً فالعذر كل العذر لحماستي التي يسوقها حبي لصغاري من جهة وإيماني بمنجزكم من جهة ثانية.»

هذه صرخة أستاذ قدير ونذير حصيف عسى أن تلقى أذنًا واعية تستفيد من مثله تجربة ومعرفة.

◆ الرياض

لإبداء الرأي حول هذا المقال، أرسل رسالة قصيرة SMS
تبدأ برقم الكاتب«٧٩٨٧» ثم أرسلها إلى الكود ٨٢٢٤٤

الماء وصراع الدلالات.. في قصص جبير المليحان

علي الدميني

يكاد الماء أن يسيل في الكثير من قصص جبير، ابتداءً من احتلاله واجهة إحدى مجموعاته، واستطراداً بتسمية بعض قصصه، مثل «الوجه الذي من ماء»، و«الماء الماء.. الماء»، و«الماء»، وكذلك في وجوده كعنصر أساس في مواد تشكيل النص وإغناء دلالاته أو صراعها، في قصص أخرى، مثل «مشكلة بسيطة».

ولعل «دال» الماء، سواء في صيغته المباشرة، أو في تعالقاته بدوال مماثلة، كالمطر، والنهر، والسيل، والغيم، والبحر.. الخ الذي يحيل إلى مادة شديدة السيولة والرهافة والحيوية - بجانب مكونات عالم الطفولة - قد أغوى القاص بالتركيز عليهما، من أجل رسم لوحات شعرية قصصه، التي تبني جمالياتها الفنية على تشكيل الكتل والكيانات المتجاورة، ذات الأبعاد المادية والإيحيائية المتعددة والمتداخلة، للتعبير عن رهافة الوجدان الداخلي للسرد، من جهة أولى، فيما يأتي التركيز على تفتيق دلالات الماء و تعارضاته في النص، من الجهة الثانية، كما نشير إليه في الوقفتين التاليتين:

١- الوجه الذي من ماء

حين نتأمل غلاف المجموعة القصصية الصادرة تحت هذا العنوان، فإننا سنرى غياب الماء عن لوحة الغلاف التي رسمها القاص، كإحدى عتبات التعرف على عالم نصوص المجموعة، حيث لا نهر، ولا بحيرة، ولا غيوم، ولا مطر. فأين الماء في «الوجه الذي من ماء»؟؟

الإجابة على تساؤلنا لن تتأتّى لنا في العبور السريع على غلاف المجموعة، وإنما ستتشكل من قراءتنا وتأويلنا لمرموز الماء في قصص المجموعة، ولذلك سنقول: إن « وجه المرأة و قامتها» الأكثر ظهوراً من وجه الرجل الذي يختبئ خلفها، (في لوحة الغلاف) سيحيلنا إلى رمزين متعاضدين، يشير في مستواه الأول إلى البعد الإنساني الذي تتميز به المرأة (الحنو، الحب، الخصب، الولادة) بما يحيل إلى رمزية الماء.

كما أن هذه المرأة - الماء، في وقفتها الشامخة وهي تحتضن الجفاف (الصحاري والسهوب وعروق الجبال) وهي تسيل في اللوحة، من عنقها حتى صدرها الأيمن، فيما تحتضن - في موقع القلب - خضرة الحقول والنخيل والناس (أي الأمل)، وتحمل على الكتف الأخرى شالاً مرصّعاً بغابة من الزهور،يهيؤنا لأن نرى فيها رمزاً للوطن!!

و لعل هذا الجزء من القصة التي حملت عنوان المجموعة يضع قلوبنا على ما يموج في وجدان « ذلك الوجه»، حين يقول النص: « كان البحر والشاطئ والكفان..

غابة صغيرة وخيول ولعب. جبال ملوّنة و ماء. نخلة يلعب الأطفال تحت ظلها ويأكلون، ويغنون:الكفان، والوجه الوديع يدنو، ويحدق في البحر ويدنو، ويحدِق في البحر، ويود لو كان : سمكة.. طائراً.. غيمة.»(ص ٦٥).

«الوجه الذي من ماء» وجهٌ لا ينتمي لعذوبة الماء، وحسب، ولكنه يصبح ميداناً لصراع «ماء» آخر، يولد من سيولة الزمن، ومن صراع الأحلام والآلام الطفلية مع مكونات الحياة القاسية، حيث أن ذلك الوجه الذي تخلّق من حركة الطفل وأحلامه بقرب البحر، ما يلبث أن يصير شاباً يقترب من مرحلة لبس العقال والخروج من ثياب البراءة، ولكنه سرعان ما يواجه مصيره أمام عنف البحر، لأنه لم يكن يمتلك سوى أحلامه الصغيرة الهشة لأن يكون «سمكةً، أو طائراً، أو غيمة»!!

لذلك يمكننا القول بأننا، ومنذ لوحة الغلاف، سندلف إلى عالم رمزية الماء في قصص جبير، لتتجلى لنا في توظيفاتها المختلفة: رمزاً للمرأة أو للطفولة والأحلام والحياة البهيجة، أو رمزاً للعطش والانكسار، أو كدلالات أخرى، تظلُّ مفتوحة على كل الاحتمالات، ومنها النص التالي!

٢- مشكلة بسيطة (ص١٠- مجموعة الوجه الذي من ماء)

«خلت المدينة من الماء: خرج الناس إلى الشوارع، عطشوا،كلهم...

جلس الرجال في الشوارع، يتصبّبون عرقاً

.....

برَك العرق تتجمع.. وتكبر.. بحيرات ترفدَها دموع النساء التي تسيل من تحت الأبواب

...

تجمّع ماءٌ كثير، وأخذ الناس يشربون!!

تقول الآية الكريمة : « وجعلنا من الماء كلِ شيءٍ حيّ»، وفي هذا المعنى الكريم يتشكّل النص، ولكن الماء الذي ينقطع عن المدينة سوف يأخذ على يدي القاص أبعاد تمظهراته الرمزية، حين نرى أن كارثة انقطاع الماء عن المدينة، لم تخلق حالة من سواسية المصير بين الرجل والمرأة، فظلت - حتى في أتون الكارثة - تبكي وتسيل دموعها من خلف الأبواب، وخارج دائرة المشاركة في المواجهة!

لذلك يبرز صراع الدلالات، في رمزية الماء - المعنى، ما بين الماء الصافي الذي تذرفه عيون النساء المحتجزات خلف الأبواب، وما بين ماء العرق «النتن» الذي يسيح من أجساد الرجال الكسالى، الجالسين على نواصي الشوارع، حين لا يحتجون على انقطاع الماء، و إنما يستمرون في إحكام إقفال بيوتهم، على الماء الذي تمطره عيون النساء من تحت الأبواب الموصدة، إلى برك عرقهم وبحيراته الطافية على سطح الإسفلت!!

ولعل الوقوف أمام هاتين العلامتين اللغويتين (الأطفال والماء)، وأمثالهما في قصص الكاتب، تعيننا على كشف مكامن إبداع شعرية القصة القصيرة، في معظم كتاباته، والتي تتولد من تكوين نفسي شديد الرهافة، ومن مكوّن ثقافي بلور رؤيته التأملية والنقدية، عبر محاضن القراءة الفاحصة، ليبصر - رغم المعيقات القاتلة - في اللغة وفي الأشياء وفي الإنسان، مكامن السيولة وممكنات التطور والاستجابة، للتعاطي مع المتغير التاريخي لحياة الإنسان، الباحث عن معنى لحياته وأفق لوجوده.

◆ الدمام